## على سبيل المزاح

محمد شالواني
على سبيل المزاح
مجموعة قصصية
قنديل | Qindeel
للطباعة والنشر والتوزيع

# As a Joke

Mohammed Shalwani

(Series of Stories)

# على سبيل المزاح

**محمد شالواني**

**مجموعة قصصيّة**

© 2019 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، و بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلا ف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « **المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: **MC-10- 01-1990577** تاريخ **2019/10/17**

ISBN: 978 - 9948 - 36 - 890 - 8

قنديل | Qindeel

**للطباعة والنشر والتوزيع**

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© **جميع الحقوق محفوظة للناشر** 2019

**الطبعة الأولى:** تشرين الأول / أكتوبر 2019 م – 1441 هـ

أُنجزت هذه المجموعة القصصية بإشراف

القاص إسلام أبو شكير

في إطار برنامج دبي الدولي للكتابة

# المحتويات


على درب المعرفة ..... 11

منزل أحلامي ..... 13

على سبيل المزاح ..... 17

قطط في المنزل ..... 23

أين أنا؟ ..... 27

ديناصوري العزيز ..... 31

الرائحة ..... 39

قاتل أمّي ..... 43

لا يريد أن يبقى رجلاً ..... 47

أم كلثوم الغاضبة ..... 55

غرفة تشريح ..... 61

# على درب المعرفة

استمراراً على نهجها الذي خطته لنفسها، يسر مؤسسة **محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة** أن تخرج لعشاق الكتاب والمعرفة حصيلتها الجديدة من ثمار برنامج دبي الدولي للكتابة، بفئات الترجمة والقصة القصيرة وأدب الطفل، التي خرَّجت أقلاماً نفخر بأنهم نهلوا من الخبرات التي أهَّلتهم ليأخذوا مكانهم ومكانتهم في قائمة الكتَّاب، ويثروا المكتبة العربية بنتاجاتهم الأدبية، حيث أضحت هذه الدورات مفتاحهم لولوج عالم الكتابة الإبداعية.

لم تكن بداية **برنامج دبي الدولي للكتابة** إلا خطوة أولى عزمت المؤسسة من خلالها على الوصول إلى الهدف المنشود، وهي تتطلع بكل ثقة إلى أنها ستنتج أفضل الثمار، وها هم منتسبو البرنامج يفخرون بخلاصة معارفهم وهي تلبي شغف القراء، وتشق طريقهم الإبداعي لصقل أقلامهم، لتكون هذه الإصدارات أول قطرات الغيث التي ستحمل، بلا ريب، وابلاً من الإصدارات اللاحقة، أسوة بمن سبقهم من خريجي دورات البرنامج، الذين أضحى عدد منهم خبراء ومستشارين، وحصدت مؤلفاتهم جوائز مرموقة.

لقد خضنا التحدي بكل اقتدار، وحققنا جزءاً من أهدافنا محلياً وإقليمياً؛ ونحن نتطلع من خلال الدعم اللامحدود الذي يوليه لمبادراتنا سمو الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس المؤسسة، أن نخدم المعرفة وطلابها، ومبتغانا في ذلك أن نحقق تطلعات قيادتنا الرشيدة التي تجاوزت الحدود لتحمل همَّ الأمة العربية والإسلامية من خلال سعيها الدؤوب لاستثمار عقول شبابها ومواردها البشرية ليحققوا النهضة لأوطانهم ويكونوا يد بناء وارتقاء ونماء.

لا يسعنا، ونحن نخرج ما في جعبتنا من جديد البرنامج، إلا أن نتوجه بأعمق الشكر والتقدير لكل من أسهم في نجاح المبادرة بمخرجاتها وفئاتها؛ إذ لا يمكن لمشروع بحجم برنامج دبي الدولي للكتابة أن يبلغ ما بلغه إلا بالتكاتف والتعاون المشترك، ونخص بالذكر المشرفين والمدربين الذين لم يبخلوا بمعارفهم وتجاربهم وخبراتهم، ليثروا بها معارف المتدربين الذين أثبتوا جدارتهم وأصروا على خوض تجربتهم الإبداعية بكل عزم وإصرار.

**جمال بن حويرب**

**المدير التنفيذي**

**لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة**

# منزل أحلامي

ـ مرحباً، كيف حالك سعيد؟ لم كلفت نفسك؟ تفضل المنزل خالٍ.

دخلت وعيناي منبهرتان من التصميم الفيكتوري الرائع المحيط بي، إنّه الفن الذي كان سبباً لمعرفتي بعيسى. الطاولة الملكية، الأرائك البيضاء المطرزة بتيجان ذهبية، السجادة الحمراء المخملية.. كما في منزل أحلامي بالضبط.

ـ سعيد، تعال لنجلس في غرفتي، سأريك آخر تحفة طلبتها من أحد المواقع الإلكترونية.

تابعت السير مع عيسى وعيناي تراقبان كل جزء بالمنزل، حتى وصلنا غرفته.

ـ ما رأيك؟

ذهلت مما شاهدته، ولم تشبع عيني من جمال المقتنيات الفريدة.

ـ جميلة، ولكن بحاجة إلى وضع تحفة أخرى.. امممم.. في هذه الزاوية.. نعم. هنا.. وطبعاً التحفة التي جلبتها لك مناسبة جداً لهذا الغرض.. إلى أن تفتح العلبة، سأذهب لشرب كأسٍ من الماء.

ـ بالتأكيد، تعرف الطريق إلى المطبخ، خذ راحتك.

كان القصد من شرب الماء هو التجول في هذا المتحف البديع، أتمشّى بداخله، وألمس كل شيء تقع عليه عيناي.

ـ مرحباً، ماذا تفعل هنا؟ عيسى ينتظرك بالغرفة!

لم أعلم من تكون هذه الفتاة الجميلة، ولا من أين ظهرت لي. أجبتها مسرعاً:

ـ نعم، جلست لكي أستريح قليلاً.. ولكن، عفواً.. من أنت؟

ضحكت. سرقت قلبي على الفور. ثم قالت:

ـ هند.. أخت عيسى.. يحدّثني دائماً عنك، وعن الشغف الذي تتشاركانه حول الطراز الفيكتوري.

ابتسمت وأنا أهز رأسي موافقاً على كل ما تقوله، ولا أسمعه.

حتى جلست بجانبي فجأة، ووضعت يدها على خدها متأملة وجهي. كانت يدي ستتحرك هي الأخرى لتلمس شعرها الملفوف، لكني توقفت فجأة خوفاً من أن يراني عيسى بعد أن سمعت صوته مناديـاً:

ـ سعيد، أين أنت؟ تعال تحفتك تكسرت!

ـ أنا أعتذر، يجب أن أذهب حالاً، تشرفت بكِ هند.

لم تقل أي كلمة، غير أنها وقفت وأدت تحية الأميرات، وأخذت تبتسم لي.

***

ـ ماذا ماذا ماذا؟

يضحك عيسى مجيباً على انفعالي:

ـ لم كل هذا الغضب؟ إنه مجرد مقلب، ها.. ما رأيك بمكانها الجديد؟

ـ سعيد كم عمر أختك هند؟

بدأ يقهقه، وانقلب على ظهره من كثرة الضحك:

ـ هنـد؟ وأختـي؟ ألا تعلـم أنـه لا أخـت لـي؟ نحـن ثلاثـة إخـوان فقـط، ولا أحـد في البيـت الآن الـكل مسـافر.. يبـدو أنـك اندمجـت مـع لوحـة الأميـرة هنـاك؛ أنـا أسـميها الأميـرة هنـد.. هههههههـه..

# على سبيل المزاح

استيقظت الساعة الثالثة فجراً على الحلم نفسه، لا ليس نفسه بالضبط؛ أنا أعني الرجل، الرجل الذي سكن قلبي، والذي يظهر لي في كلّ المرات كما لو أنها المرة الأولى.

رجعت بي الذاكرة إلى لحظة تعارفنا الأولى. كنت أتصفح أحد مواقع التواصل الاجتماعي باحثةً عن شعر في الغزل لإتمام بحث جامعي، عندما رأيت حسابه. لفتت انتباهي إحدى قصائده، ثم تواصلت معه على الخاص سائلة إيّاه السماح لي بمشاركتها في بحثي. وافق يومها بكل ترحاب، بل أرسل لي مجموعة إضافية من كتاباته.. وأنهى المحادثة.

تابعت التصفح في حسابه الشخصي، إلى أن رأيت صورته. لا أعلم لِمَ أعجبت به؟ شيء ما شدّني إليه، شيء

أكبر مني؛ أخذت راحتي، وأطلت النظر. تمعنت في بشرته السمراء العربية، رأيت غمازته الوحيدة على خده الأيسر، شامته الصغيرة على خده الأيمن، عينيه الناعستين بلونهما الأسود، شفتيه اللتين تمتدان بخط متساوٍ، وتنتهيان بتقوّس إلى الأعلى على شكل ابتسامة يزينها شارب متصل مع لحية، لكني لم أستطع معرفة كيف يبدو شعره وقد أخفته الحمدانية التي كان يرتديها.

احتفظت بالصورة في جهازي، وكنت أغوص في تفاصيلها وحدي، حتى تمكّن مني الوسن ونمت. ذهبت دون أن أعي إلى مكان بعيد، يدق قلبي فيه بسرعة، ويقيدني فيه ألف سؤال وسؤال.

راسلته في اليوم التالي مرة أخرى، أخبرته عن الحلم، لم يصدقني في البداية، ثم تجرأت وقلت له إنني دائماً ما أحلم بآخر شيء فكرت فيه قبل أن أغمض عيني. كنت مستمتعة بمحادثة التعارف هذه مع راكان، وكان من الجميل بالنسبة لي أن أتشارك مع أخته الاسم ذاته؛ بدرية كان اسمي.

سألني عن موقع سكني، وأخبرته أنني من شمال المدينة، كان عليّ ألا أعطيه الثقة مرة واحدة. أخبرني أنه من جنوب المدينة. عاد قلبي يدق بقوة.

ثـم راح يسـألني عـن عمـري. قلـت إننـي فـي التاسـعة عشـرة. هـذه المـرة لـم أكـذب.

ـ أنتِ صغيرة جدّاً، أنا في الخامسة والثلاثين.

ـ العمر كله.

ـ أشكرك يا صديقتي الصغيرة.

واصلنـا السـؤال عـن أحوالنـا لأيـام عـدة، تبادلنـا خلالهـا أرقـام الهواتـف، وأصبحنـا بعدهـا نتحـدث بشـكل يومـي، تشـاركنا أثنـاء ذلـك تفاصيلنـا الصغيـرة، بـدءاً مـن معرفـة موقعـه الحالـي عبـر صـورةٍ يرسـلها لـي وهـو يقـود فـي الطريـق الطويـل، وانتهـاءً بآخـر مـا تناولـه علـى وجبـة العشـاء.

بعـد خمسـة أشـهر مـن الماضـي، وخمـس دقائـق مـن الحلـم الأخيـر، أرسـل لـي صـورة لشـارع طويـل. كتبت لـه حينهـا أمنياتي لـه بالوصـول إلـى وجهتـه سـالماً. لـم تمـر دقيقـة علـى ردّي حتـى ورن هاتفـي حامـلاً اسـمه علـى الشاشـة السـوداء.

ـ مرحباً.. كيف حالكِ اليوم؟ لمَ لم تنامي حتى الآن؟

أجبته بسرعة:

ـ أنا بخير، كنت نائمة، ولكن تعلم.. إنه الحلم الذي أيقظني.

كنت أتمنى أن يقول لي ما هو الحلم، ولكن بكل برود أجابني:

ـ عسى أن يكون خيراً.

ـ على فكرة، لقد حلمت بك.

في البدء لم أسمع سوى صوت قهقهته. وبعد أن تمالك نفسه راح يقول:

ـ منذ متى تحلمين بي؟ هدّي هدّي يا بنت!

نسيت أين أنا، وسرحت بالبيت الصغير الذي أريد أن نكون معاً بداخله.. هل أخبره الآن؟ لا.. لا.. لا.. يا رب. كرامتي وكبريائي. ماذا لو رفض؟ ماذا لو كان يحب فتاة أخرى؟ أو ماذا مثلاً لو لم أكن فتاة أحلامه؟

ـ راكان، تعلم كم أتمنى أن أراك في الحقيقة.

قلتها، وضربت رأسي بعدها مباشرة بالهاتف.

ـ لكني لست على معرفة بأحد في الجنوب.

أخذت نفساً عميقاً، ثم قلت:

ـ تعال من أجلي، أقصد من أجل صديقتك.

راح يضحك مرة أخرى وهو يقول:

ـ لا يجمع بيننا سوى أسلاك كهربائية ممتدة يا بدورة!

سكتُّ وكأنه هدم الحلم الوردي، وقلت له بصوت ناعم:

ـ آهه، كنتُ أمزح معك.

# قطط في المنزل

رجعت من السفر بعد غياب طال سنتين، إلى المنزل البعيد عن المدينة، القريب من الطبيعة.. ياه.. كم اشتقت إلى ظلام الليل الدامس الذي يهدئ الأعصاب، وإلى صوت الأشجار التي تتمايل برشاقة مع الريح. هذا ما أنا بحاجة إليه الآن.

احتضن أبي بين صدره جميع قططي، ثم وجه كلامه إليّ، وهو في طريقه نحو غرفتي:

ـ هدى، ألم تكبري على هذه الأشياء؟

أجبت مع ضحكة صغيرة:

ـ لا يا أبي، أنا كما أنا، لم أكبر بعد.

ابتسم مجيباً:

ـ إنـك فـي الخامسـة عشـرة، كيـف سـتكونين فـي الثامنـة عشـرة؟

ـ هههههه، هاوية قطط! بابا، إنك تضغط عليهن بقوة.

رمـى أبـي القطـط علـى الأرض، وذهـب لكـي يأتـي ببعـض الصناديـق مـن داخـل السـيارة. انشـغلت أنـا بجمـع القطـط. تجولـت معهـنّ فـي غرفتـي ورحـت أبتسـم لـكل مـا تقـع عليـه عينـاي، أخبرتهـن عـن أسـرار مكانـي وعـن حكايـات أمـي فيـه.. اشـتقت إلـى أمـي.. ماما.. ماما.. ماما.

دخل أبي وراح يقول:

ـ رتبـي غرفتـك، هـذا هـو الصنـدوق الأخيـر الخـاص بـك. والقطـط أيضـاً، لا تدعيهـا علـى الأرض!

جلسـت على الأرض وفتحـت ذراعـي لقططي. «لوسـي» قطة بيضـاء هادئـة وكبيـرة، أولـى هدايـا أمـي لـي. أمـا زوجهـا «تـوم» فهـو مشـاكس ونشـط ولـه لـون رصاصـي، لا يملـك ذيـلاً، لقـد قطعتـه بالخطـأ، ممـا تسـبب بوقـوع مشـكلة بينـي وبيـن أبـي، وراح يتوعدنـي بعـدم شـراء المزيـد مـن القطـط بعـد تلـك الحادثـة، لأن ثمنـه كان غاليـاً جـداً. أمـا ابناهمـا «كريـس» و«كريـش» فهمـا هادئـان جـداً ويحمـلان اللـون الأبيـض.

أحـب قططـي جميعهـا، باسـتثناء تلـك القطـة السـوداء. لا أحـب حتـى أن ألمسـها، تزعجنـي نظراتهـا تلـك ولحاقهـا بـي أينمـا ذهبـت.

الآن هـي تراقبنـي وأنـا جالسـة علـى سـريري، ربمـا تحـس بالغيـرة، ولكـن تذكـري أنـي لـن ولـن ولـن ألمسـك.. أيتهـا المخيفـة.

لماذا تصرين على أن تثبتي لي وجودك؟

تركـت الغرفـة والقطـط. خرجـت وتوجهـت باحثـةً عـن أبـي فـي أرجـاء المنـزل، أحـاول أن أتجاهـل تلـك القطـة السـوداء وهـي خلفـي. صـوت خطواتهـا أرعبنـي هـذه المـرة.

التفـت للخلـف بسـرعة، لكنـي لـم أجـد شـيئاً! وعنـد متابعتـي للسـير، فجـأة! كانـت تلتصـق بقدمـي وتصيـح. «ميـاااووووو» عكـس بقيـة القطـط!

رجعـت للغرفـة بسـرعة وأنـا خائفـة، احتضنـت جميـع قططـي، ولكنـي أحسسـت بالذنـب.. مـاذا لـو كانـت قـد فقـدت أمهـا كمـا فقـدت أمـي؟ مـاذا لـو أنهـا بحاجـة إلـى اهتمـام مـا مثلـي تمامـاً؟

تركت قططي جانباً، وتوجهت نحوها فاتحة ذراعي.

لكن عند اقترابي منها اكتشفت أنها.. لا تملك ظلاً!

خرجت من الغرفة وأنا أصرخ.

ـ بابا.. بابا..

كان يصعد أول درجات السلم متجهاً نحو غرفتي حاملاً حصتي من العشاء، وهو يقول:

ـ ماذا بك يا حلوتي؟

ـ بابا هناك قطة كبيرة وسوداء تزعجني، أنا وقططي لا نريدها، أرجوك خذها، إنها مخيفة وقبيحة.. أرجوك بعها.

أخذ أبي بيدي وضمني نحو صدره وهو يمسح يده على رأسي قائلاً بنبرة خافتة:

ـ أي قطة سوداء؟ من أين لنا القطط هنا؟

# أين أنا؟

الساعة الواحدة فجراً، ينير ضوء القمر القليل من زوايا الغرفة، صوت الصراخ مع صوت بكاء ابني في غرفته يشكلان مزيجاً مزعجاً لمناداتي.

دخلت غرفته ورأيته يبكي ويشتكي لي حلماً مزعجاً يراوده من فترة طويلة.

مسحت عينيه، وطبطبت على كتفه حتى يهدأ، وقلت: لا بد أن أقرأ له قصة ليعود إلى النوم مرة أخرى.

بعد ساعة من محاولة تمكين حمدان من النوم، صار بإمكاني العودة إلى فراشي بأمان.

***

أشرقت الشمس على صوت زوجتي، وهي تعيد الأسطوانة نفسها في كل مرة..

ـ عبد الحكيم.. حكيييييم.. استيقظ، الساعة الواحدة ظهراً ومازلت نائماً! إلى متى ستبقى على هذا الحال؟

لم أعرها أي اهتمام، وأنا متيقّن من أن الرجوع إلى النوم هو أفضل وسيلة لتجنب إزعاجها. فجأة تذكرت..

ـ هل صحا حمدان من النوم حبيبتي؟

تغير لون وجهها، وانخفضت طبقة صوتها قائلة:

ـ حمدان مات من سنتين، ألا تفهم؟ أرجوك كف عن إعادة هذا السؤال علي في كل يوم، لقد سئمت منك ومن تصرفاتك.

خرجت وأغلقت الباب بقوة، صوت الباب أعاد لذاكرتي حقيقة وفاة حمدان.

***

قبل سنتين، ذهبت أنا زوجتي وحمدان إلى رحلة تخييم في إحدى المناطق الجبلية بالمدينة. كان موقع التخييم تحت شجرة الغاف، نصبنا الخيمة وأشعلنا النار. وفي حين أخذت زوجتي تجهز الغداء، رحت مع حمدان أستكشف المنطقة.

كان حمدان يرتدي قميصاً أحمر مع سروال كحلي، لم

يكـن سـعيداً رغـم أن الجـو هـادئ ومناسـب للتخييـم. قـررت أن أتمشـى معـه علنـي بذلـك أسـتطيع أن أعـرف منـه سـبب مسـحة الحـزن التـي تغطـي وجهـه طيلـة اليـوم، وفـي طريقنـا صادفنـا قافلـة مـن الجمـال، اتجهنـا نحوهـا ورفعتـه ليمسـح علـى رأس أصغرهـا عمـراً. فجـأة...

ـ ألـم تنهـض بعـد؟ لقـد أصبـح الغـداء جاهـزاً! كـف عـن التفكيـر يـا عبـد الحكيـم. هـذا قضـاء وقـدر مـن ربنـا.

صحوت وتوجهت للحمام وأنا أشاهد وجهي في المرآة..

يـا تـرى هـل كان حمـدان ليشـبهني فـي عمـر الثلاثيـن؟ أنـا السـبب لمـا ذهبـت إلـى التخييـم.

فتحـت صنبـور المـاء وغرقـتُ باكيـاً بصـوت خافـت حتـى لا يعلـم أحـد بانكسـاري.

خرجـت وتوجهـت نحـو المطبـخ، جلسـت متأمـلاً كرسـي حمـدان الـذي كان يمـلأه بالحيويـة والطاقـة، أخـذت أبتسـم شـوقاً لـه...

ـعبـد الحكيـم، حمـدان توفـي.. إنـه قضـاء اللـه حبيبـي، وهـو الآن طيـر مـن طيـور الجنـة.

سكتّ، وأخذت نفساً عميقاً، ثم قلت بصوت عالٍ:

ـ لم يمت.. إنه حيّ..

وبينما أنا أتحدث سمعت صوتاً صغيراً يقول لي:

ـ بابا، مع من تتكلم؟!

# ديناصوري العزيز

دفء الشمس، صوت الطبيعة، حوض سمكتي، فقط، هذا كل ما أحتاجه.. كم أنت محظوظة يا سمكتي. تعيشين في عالم هادئ ومريح، تمرحين فيه بلا قيود أو أحكام، وأيضاً لا تسمعين صوت البشر المزعج.

(صباح الخير «ديناصوري»، كيف حالك؟ أخبرني ماذا حلمت اليوم؟ نعم، نعم.. وأنا كذلك.. اسكت. أحدهم قادم!).

ـ هل استيقظت أحمد؟

ـ نعم.

ـ هيا تعال وتناول الإفطار معي.

ـ نعم.

(«ديناصوري»، تعال وتناول معي الإفطار).

ـ أحمد هل ستغير طعامك اليوم، وتأكل البيض؟

ـ لا..

إنها تعلم بأنني لن أوافق! لِمَ تسألني إذاً؟

ـ يا لك من طفلٍ عنيد.

***

(صوت الزيت على النار يزعج أذني. كأنها طلقات مدافع. لا أستطيع أن أتناول الإفطار هنا).

ـ ماما.. سأتناول الإفطار في غرفتي.

ـ لحظة.. اليوم تغيبت عن المدرسة بسبب الرحلة المدرسية، لذلك ستأتي معي إلى مركز التسوق.

لا أعرف ماذا أقول، ولكن أعلم أنها لن تبقيني في المنزل، ولا أريد أن تصرخ أو حتى تتكلم؛ لأن صوتها مزعج وكريه.

ـ حاضر.. هل سنتأخر؟

قلتها وأنا أضع يدي على أذني لاستقبال الرد.

ـ ساعة اليد الخاصة بوالدك انكسر أحد عقاربها، لذلك عليّ أن أصلحها بسرعة.

ـ هل تستطيعين أن تقومي بتصليحها غداً، عندما أكون في المدرسة؟

ـ لا أستطيع؛ لأن والدك طلب مني أن أصلحها اليوم، وإذا لم أصلحها اليوم فسيصرخ بي، وقد يضربني أيضاً..

وأضع يدي على أذني ومردداً:

ـ سأذهب.. سأذهب.

ـ قم بتبديل ملابسك بسرعة الآن..

(ماذا ألبس؟ سأرتدي هذا القميص ذا الأكمام الطويلة. وسأسرح شعري مثل طريقتي المعتادة، وسأنظف نظارتي، والآن سأضعك في جيبي السفلي يا «ديناصوري» كي تكون معي دائماً).

ـ أحمد هل انتهيت؟ هل انتهيت؟

ـ نعم.

***

(«ديناصوري» ابق معي أرجوك.. لقد وصلنا إلى مركز التسوق، دعني أمسك يد أمي. لِمَ السوق مزدحم؟ لِمَ ضحك الأطفال؟ ولم صوت الرجل في الهاتف عالٍ؟ ساعدني

«ديناصوري». دعني أشاهدك لأنك تجعلني أشعر بأنني في أمان. هذا أنت «ديناصوري». ارجع إلى جيبي بسرعة قبل أن تختفي أو يسرقك أحد. لِمَ يبتسم لي هذا الرجل الذي بيده مجموعة من البالونات؟ ولِمَ أصوات البالونات عالية هكذا عندما تتصادم مع بعضها البعض؟ لِمَ رشة العطر صوتها عالٍ؟ أرجوكم توقفوا.. سوف أقوم بالعد من الواحد إلى العشرة، فربما أهدأ.. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة. هذا أفضل قليلاً).

***

عصرت راحة يد أمي بكل قوتي وعيناي ممتلئتان بالدموع.

ـ ماما.. ماما.. أخرجيني لا أستطيع.

ـ ما بك أحمد؟ أنت بجانبي.

ـ لا أريد أن أبقى هنا. أريد أن أذهب إلى البيت.

ـ أصبحت في عمر العاشرة، وهذا يعني أنك كبرت الآن، ولا داعي لأن تستخدم طريقة الأطفال هذه.

لن أستطيع التحمل، ولن تفهمني أبداً.

ـ ماما.. ماما.

ـ كفّ عن البكاء والصراخ يا غبي.. سأخرجك، أتمنى من الله أن يأخذني كي أرتاح منكم.

***

(ها قد وصلنا البيت، نحن الآن في الغرفة، غرفتي عالمي. كنا على وشك الموت، ولكن عدنا بأمان يا «ديناصوري»).

***

(ماذا أفعل الآن بساعة اليد الخاصة بزوجي؟ سيأتي من عمله ولم أصلح الساعة. ماذا أفعل؟ سأذهب بسرعة. ولكن أحمد وحده في المنزل. ما الحل؟ سأذهب بسرعة من غير علمه. لا بد أن ألقي عليه نظرة أولاً لأرى ماذا يفعل).

ـ أحمد.. هل أنت بخير؟ أنا أعتذر لصراخي عليك في السوق.

ـ نعم.. لا يهم.

ـ لم تجلس دائماً في زاوية الغرفة؟

ـ لا أعلم، لكن ربما أشعر بأمن هنا مع «ديناصوري».

ـ هذا رائع.

(الآن سأذهب وأعود بسرعة).

***

(الحمد الله أصلحت الساعة. سأذهب وأطمئن على أحمد).

ـ أهلاً أحمد.. ما زلت جالساً بنفس المكان مع صديقك «ديناصور»؟

ـ نعم.

ـ رائع، سأقوم بتحضير.. الغداء.. ماذا؟ الغداء؟ لا.. لقد نسيت.. استمر في اللعب.

(ماذا أفعل الآن؟ لم يبقَ سوى نصف ساعة، ولقد طلب مني اليوم دجاجة بالفرن. ماذا أفعل؟ وأنت أيضاً.. توقف، ولا تتحرك.. دعني أفكر.. ماذا أفعل؟ سأطهو له معكرونة، نعم هذا أفضل حلّ).

***

ـ أحمد.. حان وقت الغداء.

عاد الصوت المزعج من جديد:

ـ قادم.

ـ ساعدني بسرعة لوضع الأطباق على الطاولة.

ماذا؟ أطباق؟ يعني إزعاج!

ـ حاضر.

ـ هيا اجلس ودعنا ننتظر والدك.

ـ ماما ما بكِ؟ لِمَ أنتِ متوترة؟

ـ لا شيء أحمد؛ اسكت.. اسكت.. والدك وصل.

***

ـ ما هذا؟ لقد أخبرتك أنني أريد دجاجة بالفرن؛ لم لا تستجيبين لكلامي؟

ـ كنت مشغولة في أعمال المنزل. وقد قمت بتصليح ساعتك أيضاً. أنا آسفة.. آسفة.

ـ وماذا أستفيد من كلمة آسفة؟

***

(لا.. الصراخ.. الصراخ.. لا.. لا..)

ـ أحمد.. اذهب وسأحضر غداءك إلى غرفتك.

قمت بسرعة ولم أجب على أي كلمة.

***

(ما هذه الأصوات التي تصلني إلى غرفتي؟ بكاء أمي.. صراخ أبي وضرباته.. أتكور في زاوية غرفتي، أفكر بمصير أخي، ترى هل سيموت أم سينضم إلى عالمي قريباً؟).

# الرائحة

أغلـق الهاتـف مـن عنـده ودقـات قلبـي تتسـارع، ولا أعـرف مـاذا أفعـل فـي مثـل هـذا الوقـت مـن صبـاح يـوم الجمعـة. وصلـت البحـر، وتراجعـت عـن رأيـي، لا أود أن أشـارك أحـداً مشـاكلي. آتـي هنـا للنسـيان، ربمـا كآخـر وسـيلة هـرب متاحـة لـي مـن عالمـي الشـفقة والعبوديـة تحـت رحمـة بنـي البشـر.

آخـذ نفسـاً عميقـاً وأحفظـه فـي صـدري لعـدة ثـوان، ثـم أزفره، وفي كل مـرة أكـرر فيهـا هـذه العمليـة، كنـت أشـتمُّ رائحـة جديـدة!

أول مـرة شـممت رائحـة، رائحـة ليسـت غريبـة، ولكـن، لا، عقلـي يصـر علـى أن هـذه رائحـة.. امممـم رائحـة الأسـماك الميتـة.. نعـم.. الأسـماك.. نعـم.

أتجاهلهـا. لكـن رائحـة أخـرى تشـدني؛ رائحـة أعشـاب البحر.

هنالك ما يدفعني إلى الشك في أنها كذلك. أركز قليلاً، ثم أقرر أنها رائحة أعشاب البحر فعلاً.

رائحة جديدة؛ رائحة النفط، وزيوت السيارات رغم أن لا وجود لمصنع أو حتى لسيارة بالقرب من مكاني هنا على البحر! قد تكون عالقة هنا منذ الأمس، لكنها على نحو غريب تزداد في كل مرة يرتفع الموج فيها.

أشم الآن رائحة جوز الهند، رغم أن هذه الأرض لا تثمر جوز الهند. المصدر المجهول للرائحة يجرني هذه المرة إلى ذكرياتي مع أمي وهي تضع القليل من زيته على رأسها ورأسي كل صباح وتمسح ما تبقى منه على جسد أبي الصلب.. كم كانت أيام رائعة!

رائحة جديدة، أتمنى أن تكون جديدة... امممم.. ألا تبدو رائحة فاكهة المانجو؟ نعم، إنها هي، ولكن كيف ذلك ونحن في فصل الشتاء!

التفتّ ليميني ويساري ولم أجد أي محل للفواكه. كما أنني لم أرَ أي شخص في المكان. لو رأيت أحداً لقلت: من المحتمل أنه يحمل ثمرة منها في جيبه.. من أين تأتي إذاً؟

واصلت الاستنشاق؛ روائح كثيرة، حتى شممت رائحته، نعم، إنها هي؛ رائحته، أنا أعرفها، هو دائماً يضعها.. لا؛ لا ليست هي.. نعم.. إنها رائحة فلفل. هي التي تحرق أرنبة أنفي، وتسقط الآن دمعة هاربة من عيني.

التففت حولي في محاولة معرفة مصدر هذه الرائحة؛ نعم، إنه مطعم هندي، في نهاية الشارع.. لم لم أره قبل الآن؟ نعم.. نعم.. أظن ذلك.

واستنشقت الهواء مرة أخرى. الرائحة ذاتها التي أحاول منذ وقت الهرب منها. إنها هنا. هي مرة أخرى. امممممم.. رائحة الخشب!! آهه، نعم، رائحة الخشب المحترق، تصلني بقوة.. عادت لي الرائحة.. هي.. لا تقل إنها.. لا..

امممممم رائحة.. رائحة ماذا؟

وكأن عقلي استسلم هذه المرة، وقد أتعبته كل محاولاتي السابقة في إنكارها، كيف أهرب؟ ورائحة العود العربي، تسيطر على المكان كله يا ربي، كيف؟

عادت أكبر مخاوفك يا راجو.

# قاتل أمّي

ـ صباح الخير يا صديقي، كيف أصبحت؟ رأيتك مستيقظاً عند الثانية فجراً وكنت خائفاً. هل أنت بخير الآن؟

لقد ذهب مسرعاً هذه المرة أيضاً دون حتى أن يلتفت إلي. أكمل ما بدأته لعله يسمعني ولو لمرة واحدة في حياته!

ـ هيه! سأنتظر عودتك من المدرسة، لتخبرني ماذا يحصل معك .

ذهب صديقي وبقيت أنا في الغرفة وحيداً. كم أكره شعور الفراق المزعج! ماذا أفعل الآن؟ يبدو أن وجبتي قد وصلت. حان وقت النوم.

ـ مرحباً بعودتك يا صديقي كيف كان يومك؟ لِمَ أنت حزين؟

أخذ يمرر راحة كفه على قميصه الرياضي بخوف وقلق، يبدو أنه تمزق أثناء اللعب في المدرسة، أراه مضطرباً ولا يعرف كيف يصلحه.

ـ لا تقلق سأصلح لك قميصك الرياضي؛ فأنا ماهر في الحياكة.. أين تذهب؟ ابقَ. أريد أن أخبرك ماذا كان فطوري اليوم.. لحظة لِمَ أخذت قميصك معك؟

خرج ولم يسمعني، كالعادة؛ لا يجيبني، ولكني أحبه. ربما ذهب كي يصلح القميص بنفسه حتى لا يتعبني. دائماً يفاجئني بأفعاله المجنونة والمضحكة.

ـ ماذا تفعل؟ لم أنت غاضب؟ عمّ تبحث؟ هل تبحث عن ذاك الشيء الذي يضيء؟ إنه فوق سريرك. هل تسمعني؟ إنه على سريرك يا صديقي!

نعم هنا. اقتربت. اقترب أكثر قليلاً. نعم هذا المكان. كم أنت محظوظ بوجود صديق مخلص مثلي! هيه! إلى أين أنت ذاهب؟ لا تتركني.

لقد رحل، وأعلم أنه لن يرجع إلى مكانه إلا في وقت النوم. سأنتظر وجبتي القادمة، وبعدها أخلد إلى النوم أنا أيضاً.

***

ـ مرحباً بعودتك يا صديقي. كيف كان يومك؟ لا تنم، دعنا نتحدث قليلاً.. هل أنت متعب؟

إذاً أخلد إلى النوم، ولكن أخبرني أولاً، ما نوع القصة التي تريد أن أقصها عليك اليوم؟ قصة حبي الأولى؟ أم قصة أول لقاء جمعنا؟ ماذا تفضل يا صديقي؟

استمر في تجاهلي وهو متجه نحو الخزانة لتبديل ملابسه. ربما كان متعباً من يومه الشاق والطويل ولذلك لا يجيب.

ـ إذاً سأذكر لك قصة لقائنا الأول، بما أن أربعة أشهر قد مرت على صداقتنا. سأبدأ الآن بسرد القصة كي تسمعني بكل وضوح، لأنك عندما ترمي نفسك على السرير وتنام على جنبك الأيسر تغوص في النوم بسرعة.

قبل أربعة أشهر، ذهبت إلى بيت جدك وأخذت هذا الصندوق الوردي الموجود الآن على الرف العلوي في الغرفة، الصندوق الذي يحمل في جوفه فتاةً ترقص على قدم واحدة، تدور في دائرة على نغمة كلاسيكية. كنتُ مختبئاً فيها أنا وأمي داخل ثقب المفتاح الذي يشغل الصندوق. سأخبرك بما حدث: عندما أدرت المفتاح قطّعت، دون قصد منك، أمي التي كانت تقف بين الصفائح الحديدية. استطعت أنا الخروج بما يشبه المعجزة. تمكنت من إنقاذ نفسي. لم

تشاهدني بالطبع، على عكس وضعنا اليوم حيث أشاهدك أنا بكل وضوح، وأطلب منك أن تعدني بأن تبقى صديقي للأبد.

رمى صديقي نفسه على السرير وهو متعب، وكأنه تململ من هذه القصة، لم يجب على أي كلمة مثل كل مرة.. استرخى جسده المتعب على السرير بينما كانت عيناه تراقبان السقف، فجأة وقعت عيناه عليّ. كدت أطير من الفرح.. أخيراً.. لقد لاحظ صديقي وجودي.

ولكن، عندما رآني خرج من الغرفة بسرعة.. وعند عودته كان يحمل حذاءً رياضياً له. أراه يقترب مني على مهل وهو يردد:

ـ ماذا يفعل هذا العنكبوت في غرفتي؟

# لا يريد أن يبقى رجلاً

فـي غرفـة مسـتطيلة تعـجُّ بالـزوار والمرضـى، وتحيطهـا مجموعـة مـن الملصقـات علـى الحائـط كتلـك التـي تتحـدث عـن أهميـة رياضـة الجـري والأكل الصحـي الخالـي مـن الدهون، شـد انتباهـي ملصـق كتـب عليـه: (الكشـف المبكـر ينقـذ حياتـك). وهـا أنـا أنظـر نظرتيـن فـي كل لحظـة، نظـرة نحـو الشاشـة الرقمية، والأخـرى نحـو النافـذة التـي تتسـلل مـن خلالهـا أشـعة شـمس العصـر البرتقاليـة.

«واحـد واحـد واحـد صفـر.. يرجـى التوجـه لغرفـة رقـم ثلاثـة».

ـ يوسف حان دورنا.

ـ حاضر ماما.

اتجهـت نحـو غرفـة الطبيـب وأنـا علـى علاقـة جيـدة مـع

صحتي، نعم أعلم أنني بخير، وأن ما حدث ذلك اليوم كان طبيعياً. دخلت ورأيته، بلباسه الأبيض، ولحيته المرتبة، على صدره بطاقة بلاستيكية تحمل اسميه الأول والأخير، لم لأهتمّ كثيراً لمعرفة اسمه. تكفي كلمة دكتور في هذه اللحظات. كان يفترش مجموعة من الأوراق البيضاء المسطرة، والتي تحمل شارة المستشفى ذاتها. في الوسط، على الطاولة الخشبية التي تفصل بيننا وبينه، وورقة شفافة ذات لون أسود فاتح، رأيت من خلالها شيئاً يخصني، ربما كان قلبي.

ـ لا تخافي يا أم يوسف.. ابنك بخير.

وبينما كان ينقل نظراته، مرة نحو الأوراق المرتبة على نحو غريب، ومرة إلي؛ تابع قائلاً:

ـ ولكن هناك مشكلة صغيرة في إحدى صمامات القلب لديه، وهذا يفسر لنا سرعة نبضاته التي أقلقتك.

ـ يوسف. اذهب مع الممرضة كي تعطيك ورقة الإجازة.

خرجت من الغرفة برفقة الممرضة وأنا أبتسم، كنت أعلم أن هناك ما لا تود أمي أن أعرفه، دائماً ما تستخدم الطريقة ذاتها. عدت إلى غرفة الطبيب، ورأيت دمعة واقفة في عيني أمي. قال لي الطبيب مقاطعاً يدي التي راحت تمسح على خد أمي:

ـ يوسف يا بطل، مشكلتك بسيطة والحل بيديك.

ـ بيدي؟ كيف؟!

ـ ألَّا تمارس أي مجهود يتعبك، مثل جميع أنواع الرياضة.

ـ لِمَ يا دكتور! مازلت في الحادية عشرة من عمري!

وجه نظره نحو أمي وابتسم لها، وهنا تحديداً سقطت تلك الدمعة، لقد رأيتها، رغم أنها مسحتها بسرعة بطرف شيلتها، وبدلت تلك الرجفة في شفتيها إلى ابتسامة.

ـ أولاً، حتى لا تزعل ماما يا يوسف.. ثانياً، حتى تحافظ على قلبك وجسدك لأنها أمانة من ربنا يا يوسف.

ـ إن شاء الله.

خرجنا من الغرفة عند هذا الوعد وعلامات التفكير والحيرة عالقة على وجهي لسبب لم أكن أفهمه. لم تكن أمي لتساعدني في معرفة نصف إجابة. اكتفت بالاندفاع نحوي قائلة لي:

ـ أنا بحاجة إلى رجل لا إلى طفل، رجل يحميني ويحمي إخوانه خالد وناصر ومنصور، رجل يحل مكان والدك الذي غاب ونسيكم معي.

ـ ولكن كيف يا ماما؟

ـ أولاً بأن تقول: «أمي»، وثانياً بأن تبتعد عن اللعب لأن الرجال لا يلعبون.

ـ حاضر.. سأفعل كل ما تطلبينه مني يا ماما.. أقصد يا أمي.

قلتها وأنا لا أعرف عاقبة كلمة (حاضر).

في صباح اليوم التالي ذهبت أمي إلى مدرستي ومعها جميع التقارير الطبية، وأخبرت إدارة المدرسة بموضوعي، ثم منعوني من ممارسة الرياضة في المدرسة أولاً، وبعدها من الوقوف في الطابور صباحاً.

أخذ كل من معي في الفصل يسألني عن سبب ذلك المنع الذي اعتبروه امتيازاً أحظى به، أخبرتهم بما سمعته، تماماً كما هو، وكما قيل لي. لدي مشكلة في قلبي.

أصبحوا متعاونين جداً معي، الخوف يسبق أي حركة وأي قول من قبلهم لي. سمعتهم يتداولون فيما بينهم قصتي. قالوا إنني مريض. تلك الكلمة التي سبقت حتى اسمي الأول، وبقيت ترن في أذني. وأنا أخرج لهم، ما إن يلمحوا وجودي، ابتسامة مصطنعة.

في حصة الرياضة كانت هذه الكلمة أكثر تداولاً بين زملائي ومعلمتي، حين يسألونها لِمَ يوسف لا يلعب معنا؟

وحيـن تزورهـا بعـض المعلمـات فـي الصالـة أيضـاً يستفسـرن عنـي، والإجابـة واحـدة لا تتبـدل: «إنـه مريـض».

❋❋❋

«الطالـب يوسـف يرجـى التوجـه لإدارة المدرسـة مـع الحقيبـة».

عنـد توجهي لإدارة المدرسـة، انـزرع ألـف سـؤال فـي رأسـي، بينمـا تأخذنـي قدمـاي إلـى هنـاك.

رأيـت أمـي. شـعرت بالقلـق حيالهـا. كانـت تـودع المعلمـات وهـي تخبرهـن:

ـ إن شاء الله خير، سنرى ماذا سيقول لنا الطبيب.

أمسـكت يـدي، وراحـت تتحـرك باتجـاه البـاب الخارجـي للمدرسـة، وصلنـا السـيارة وقلـتُ لهـا:

ـ هل سنذهب اليوم إلى الطبيب مرة أخرى؟

ـ لا، ولكـن كنـتُ قلقـةً عليـك، وازداد القلـق عندمـا رأيـت فـي جدولـك اليـوم حصـة الرياضـة.

ـ ماما.. أمـي.. أنـا وعدتـك، أنـا رجـل، اليـوم حصـة الرسـم. ألا تعرفيـن أننـي أحبهـا؟

هذه أول مرة أصرخ فيها على أمي وقلتُ لها:

ـ بابا.. أفضل منكِ.

وصلنا سريعاً إلى المنزل، جمعتنا الكنبة الطويلة، لم يتحدث أحدنا، حتى قررت أن أعتذر منها. أردت أن أضع رأسي على صدرها لتسامحني، ولكن هذه المرة منعني إحساسي بالرجولة الذي غرسته هي نفسها فيّ. قمت بتقبيل رأسها مع كلمة: أنا آسف، ورجعت إلى مكاني، ثم أغمضت عيني لأوهمها بأنني نائم، حتى لا تثقل عليّ بنصائحها، وأنا أعلم أنها لو بدأت فلن تتوقف.

رن هاتفها في تلك اللحظة. أتقنت دور النائم.

ـ أهلاً منال. لا شيء. إنه نائم الآن بجواري، وهو بخير. تعرفين أن أي جهد قد يصيبه بجلطة في القلب.

فتحت عيني وأغلقتهما بسرعة، ثم بدلت اتجاه رأسي إلى الداخل، حيث تسقط الدموع دون أن يشعر بها أحد.

ـ هذا هو الجواب يا عقلي، ارتح الآن.

***

وانتهى العام الدراسي، ونجحت بامتياز.. ربما بسبب تفرغي للمذاكرة. فرحت أمي بنجاحنا أنا وإخواني، وقررت

أن تكافئنا. بدأت بإخواني الذين قرروا أن يشتروا الدراجات الهوائية التي حلموا بها لوقت طويل.

طوال الطريق، ونحن متجهون نحو محل الدراجات الهوائية، وأنا أفكر: الرجال ماذا يشترون؟

عند دخولنا محل الدراجات الهوائية اختفى الرجل، وارتفع صوت طفل. كان يصرخ عالياً. حاولت أن أكتم صوته، لكنني لم أتمكن.

ـ ماما.. أريد.

ـ ماذا تريد؟ هل تريد بلاي ستيشن أو تابليت أو موبايل؟ أو تريدها كلها معاً يا بطل؟

ـ أريد أن ألعب مع إخواني، أريد دراجة هوائية لي أنا أيضاً. أرجوكِ يا أمي. لا أريد أن أبقى رجلاً.

قلتها وأنا أبكي بصوت عالٍ.

ـ ماذا قال الطبيب يا بني؟ لا يمكنك.

ـ لأني مريض، صحيح يا ماما؟ صحيح؟ لأني مريضضض.

***

بعد ستة أشهر من زيارتي الطبيب، وساعة من زيارتي لمحل الدراجات الهوائية التي حلمت بها ليل نهار، أصبح لي هدف آخر، هو التسلل إلى غرفة أمي وأخذ الأوراق التي تحتفظ بها بجانب سريرها في الدرج الخشبي. ربما أجد شيئاً مما كتب الطبيب، يسمح لي باللعب لو قليلاً. وجدت الكثير من الأوراق، لها نفس شارة المستشفى التي رأيتها في غرفة الطبيب في آخر زيارة لنا؛ نعم إنها أوراقي، لكني لم أستطع أن أفهم ما هو مكتوب باللغة الإنجليزية.

قلت: سأحاول. بدأت بالاسم، ثم النقطتين الرأسيتين، حتى وصلت إلى الأحرف الثلاثة التي انتهى بها اسمي (إن ـ آي ـ إس)، رغم أن اسمي ينتهي بـ (إس- يو ـ إف).

توقفت.. ولم أكمل قراءة الباقي.

# أم كلثوم الغاضبة

في إحدى زوايا متحف «أم كلثوم»، خلف مجموعة تماثيل الفرقة الموسيقية، جلست أراقب المقتنيات هنا وهناك خوفاً من حركات الزوار المفاجئة. ثم سمعت صوت مديري:

ـ مصطفى.. يا مصطفى.

ـ أيوه يا أستاذ.

ـ ليه الغبار مغطي حاجات الست؟

ـ معلش، علشان أحمد الفراش واخد إجازة..

ـ طيب خد مكانه وقوم بالمهمة بعد الزوار ما يمشوا.

***

الساعة العاشرة مساءً، وقت إغلاق أبواب المتحف.

توجهت نحو قسم أدوات أم كلثوم ومعي جميع مستلزمات التنظيف. بدأت مهمتي بنفض مناديلها الخاصة. أمسكت بها. مررت أصابعي عليها. لم أكن أتوقع أن تكون قماشتها بهذه النعومة. كما أن حجمها بدا لي حجمها أكبر بكثير مما تبدو عليه في الصور وهي تمسك بها في حفلاتها. كثيراً ما يقع الجمال ضحية كاميرات التصوير. بعدها توجهت لتنظيف الصندوق الزجاجي الذي يحمل في قلبه نظارة أم كلثوم.

في كل حركة أقوم بها كان ينزرع في رأسي سؤال: لم عدساتها شديدة السواد؟ هل هي نظارة طبية؟ هل هذه الماسات حقيقية؟ هل هي ثقيلة مقارنة بالنظارات العادية؟

وأخيراً تملكني هاجس غريب لا أدري كيف تسلل إليّ.. أن أفتح الصندوق، وأمسك بالنظارة، وأتأملها عن قرب.

لم أتوقع أنها ثقيلة إلى هذا الحدّ. قربتها من المصباح المرتكز فوق الصندوق الذي يحتضنها. أذهلني التصميم الهلالي على جوانبها، وقطع الألماس التي زينته هنا وهناك. كنت أمعن النظر في كل تفصيل، كما لو أن سراً ما يقع خلفه.

وفجأة!

خرجت إحدى العدستين من مكانها نتيجة ضغطي عليها

دون انتباه. كان ذلك مرعباً بحدّ ذاته، إلا أن الرعب وصل حده الأقصى مع الصرخة التي دوت من خلفي.

ـ لا لا لا!

التفت خلفي و..

كانت أم كلثوم. أم كلثوم نفسها. بفستانها الطويل اللامع الأبيض ذي الأكمام العريضة. بتسريحة شعرها المرتفعة مع منديلها، وكأنها عائدة للتو من حفلة غنائية لها.

ـ عملت إيه؟

ـ معلش، مكنش قصدي، مشكلة بسيطة وهصلحها دلوقت..

ـ اسكت متتكلمش خالص..

ـ أنا آسف مرة تانية يا ست..

ـ هششش، يللا صلحها بسرعة..

وأخذت أحاول إرجاع العدسة إلى إطار النظارة.. لكنها لا تثبت.

ـ فيه إيه؟ أنت كسرتها؟

ـ لا.. أبداً.. اديني شوية وقت بس..

وعنـد محاولتـي الثانيـة لإدخـال العدسـة، خرجـت الأخـرى مـن مكانهـا أيضـاً، بسـبب ارتـكاز إصبعـي الآخـر عليهـا بقـوة، وعـاد صـوت الصـراخ ولكـن أقـوى مـن قبـل:

ـ لا لا لا.. عملت إيه يا مجنون؟

تمتمـت في داخلي.. ربمـا أكـون أول شـخص مـن هـذا القـرن يـرى غضـب أم كلثـوم!

ـ معلش أنا آسف، هصلحها..

ـ معندكش غير آسف؟ لحد إمتى؟

كنـت مرتبـكاً. يـداي كانـت ترتجفـان، لكننـي مـع ذلـك نجحـت فـي إعـادة العدسـتين داخـل الإطـار. كان الأمـر أشـبه بالمعجـزة. قلـت وأنـا أبتسـم:

ـ الحمد لله، شوفي يا ست، صلحتها خلاص.

ثـم أحسسـتُ أن هنـاك شـيئاً مـا عالقـاً علـى إبهامـي. لـم أصـدق مـا رأيـت وأنـا أحـاول معرفـة مـا حـدث. أربـع ماسـات صغيـرة كانـت ملتصقـة بطـرف إبهامـي. رفعـت رأسـي، وأنـا أرتجـف رعبـاً.

كان صوتها هذه المرة يملأ أرجاء المتحف..

ـ يـا راجـل إنـت عـاوز إيـه بالظبـط؟ أنـت كسـرت الدنيـا ووجعـت قلبـي. بطـل خـراب شـوية..

ـمعلش يا ست، أنا آسف. هصلحها هي كمان.

ـ اسكت متتكلمش وناولني النضارة..

كانـت تتلمـس نظارتهـا، وكأنهـا طفلتهـا. برقـة وحـذر وخـوف وحنـان وأمـل.

توقعـت منهـا كل شـيء، باسـتثناء نظـرة الارتيـاح المفاجئـة التـي رمتنـي بهـا. ملامـح وجههـا اسـترخت فجـأة. والكلمـات خرجـت مـن فمهـا هادئـة مطمئنـة..

ـلا لا لا، دي مش نضارتي.

# غرفة تشريح

إلى أين أنا ذاهب؟ جعلوني أنتظر عند الباب رقم أربعة، وبعد محاولتي لقراءة اسم الغرفة اتضح لي أنها غرفة «تشريح».

لقد تم وضع سريري في منتصف الغرفة، وحولي مجموعة من الأطباء.. اممم.. تقريباً.. واحد.. اثنين.. ثلاثة.. والممرضة أربعة.

ما هذه الأشياء التي تلتمع في أيدي الأطباء؟ لحظة.. أنا حيّ.. أنا لستُ ميتاً.. أنا فقط مشلول.

حاولت رفع يدي ليعلموا أني حيّ، ولكن لم أتمكن من رفعها. حاولت تحريك قدمي، ولكنهما كانتا ثقيلتين. حاولت الحديث، ولكن لساني كان مخدراً.. أنا مشلول. لستُ ميتاً.. بدأت بتحريك عيني بحركة دائرية ليلاحظوا أني ما زلت حياً. ولكن، لا أحد ينتبه لي.

واصلت محاولاتي في تحريك عينيّ، حتى وقعتا على عيني الممرضة.. ولكنها لم تلاحظني.

كررت المحاولة من جديد، إلى أن اقتربت مني الممرضة، وهي تهمس لي:

ـ نحن نعلم أنك حيّ.